السَّنة الخامسةُ والستُّون بعد المئة

فيها جهَّز المهديُّ ابنَه هارونَ إلى الصائفة في بلاد الروم غازياً في جمادى الآخرة، وضمَّ إليه الربيعَ مولاه، فأَوغل فيها، وسار هارونُ في نيِّف وتسعين ألفاً ومعه الخزائنُ والأموال والعُدَد، وكان في خزائنه من الدراهم أَحدٌ وعشرون ألفَ ألفِ درهم وأربعُ مئةِ ألفٍ وزيادة، ومن الذهب مئةُ ألفٍ وسبعٌ وسبعون[١] ألفَ دينارٍ وزيادة، فأَناخ على خليج القُسْطَنطينية وصاحبتُها يومئذٍ امرأةُ أَليون، ولها ابنٌ صغير من أليون، ومات وهو في حجرها، فأَقام هارونُ يَسبي ويقتل، فقتل من الرُّوم نيِّفاً وخمسين ألفاً، وغنم من الدوابِّ عشرين ألفاً، وذبح من البقر والغنمِ مئةَ ألفِ رأس، فأَرسلت إليه المرأةُ تطلب الصلح، فصالحها وشرط عليها في كلِّ سنةٍ سبعين ألفَ دينارٍ وما تيسَّر من العُروض والأُسارى، وأن تُقيمَ لهم الأَدلَّاء؛ فإنهم كانوا قد أَوغلوا في المضائق، ففعلت. ورجع هارونُ غانماً سالماً، وبيع البِرْذونُ بدرهم، والبغلُ بعشرة دراهم[٢]، والدِّرعُ بأقلَّ من درهم، وعشرون سيفاً بدرهم.

فقال مروانُ بن أبي حفصة: [من الطويل]

أَطفتَ بقُسطنطينة الرُّومِ مُسْنِداً ... إليها القَنَا حتى اكتسى الذِّلَّ[٣] سورُها

وما رِمتَها حتى أَتتك ملوكُها ... بجِزيتها والحربُ تَغلي قدورها

وفيها عزل المهديُّ خلفَ[٤] بن عبدِ الله عن الرَّي وولَّى عيسى مولى المنصور[٥]. وتزوَّج هارونُ زبيدةَ بنتَ جعفرٍ وبنى بها. وحجَّ بالناس صالحُ بن المنصور.

وفي هذه السَّنةِ توفِّي

---

(١) في تاريخ الطبري ٨/ ١٥٢ : وأربعة وتسعين، وفي المنتظم ٨/ ٢٧٧، والكامل ٦/ ٦٦ : وثلاثة وتسعين.

(٢) في تاريخ الطبري: بأقل من عشرة دراهم.

(٣) الذِّلّ: اللين، وهو ضد الصعوبة. مختار الصحاح (ذلل). والبيتان في الديوان ص٦٠.

(٤) في (خ): خالد، والتصويب من تاريخ الطبري ٨/ ١٥٣، والمنتظم ٨/ ٢٧٨، والكامل ٦/ ٦٧.

(٥) في المصادر: مولى جعفر.

داودُ بن نُصير الطائيّ، أبو سليمان

ذكره ابنُ سعد[١] في الطبقة الخامسةِ من أهل الكوفة، وقال: داودُ بن نصير الطائي، ويُكنَى أبا سليمان، وكان قد سمع الحديثَ وتفقَّه، وعرف النحوَ وأيامَ الناس وأمورَهم، ثم تعبَّد، فلم يكن يتكلَّم في شيءٍ من ذلك. قال: وكان له جليسٌ يذاكره في الحديث، فقال له: لا تذاكرْني في شيءٍ من ذلك أبداً.

وروى ابنُ سعدٍ عن الفضل بن دُكَين قال: كنتُ إذا رأيت داودَ الطائيَّ لا يُشبه القرَّاء، عليه قَلَنسُوة طويلةٌ مما يلبَس التجَّار، وجلس في بيته عشرين سنةً أو أقلَّ حتى مات، وحضرتُ جنازتَه فما رأيتها من كثرة الخَلْق. مات سنةَ خمسٍ وستِّين ومئةٍ في خلافة المهدي.

وهذا قولُ ابن سعد، واتفقت الأئمَّة عليه، فقالوا: كان كبيرَ الشأن في العلم والورعِ والزُّهد والعبادة. وسمع الحديثَ الكثيرَ وتفقَّه على أبي حنيفة، وعرف أيامَ الناس، وكان مكمَّلاً في حاله.

وقال الهيثم: جاءت امرأةٌ إلى حلقة أبي حنيفةَ وداودُ جالس، فسألت مسألةً في الحيض، فأجابها داود، فقالت: يا داود، هذا العلمُ فأين العملُ به؟ فوقع كلامُها في قلبه فاعتزل.

والقولُ الثاني: حديثُ المرأةِ التي اجتاز بها في المقابر، فقال ابنُ عائشة: مرَّ داودُ الطائيُّ بمَقْبُرة، فسمع امرأةً وهي تقول: يا حبيبي، ليت شِعري بأيِّ خدَّيك بدأ البِلى، باليمنى أو باليسرى؟ قال: فصَعِق.

وقرأتُ على شيخنا الموفَّقِ من كتاب «التوَّابين»[٢] عن الحِمَّاني قال: مرَّ داودُ بمقبرة على امرأةٍ تبكي وتقول، وذكره ثم قال: إنَّها أنشدت: [من الطويل]

مقيماً[٣] إلى أن يبعثَ اللهُ خَلْقَه ... لقاؤك لا يُرجَى وأنت قريبُ

---

(١) في طبقاته ٨/ ٤٨٧.

(٢) ص٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٣) في التوابين: مقيم.

تَـزيـد بِـلًـى فـي كـلِّ يـومٍ ولـيـلـةٍ وتُـسـلَـى كـمـا تَـبـلـى وأنـت حـبـيـبُ

فانقطع داودُ إلى العبادة.

ذِكْرُ طَرَف من أخبار داود :

روى أبو نُعَيم[1] عن ابن عمٍّ لداودَ قال: ورث داودُ من أبيه عشرين ديناراً، فأنفقها في عشرين سنةً كلَّ سنةٍ ديناراً، ينفق في كلِّ شهرٍ درهماً، منه يأكل ومنه يتصدَّق، وورث بيتاً، فكان يكون فيه، لا يعمره، كلَّما خرب منه جانبٌ تركه وتحوَّل إلى جانبٍ آخَر، فخرب كلُّه إلا زاويةً منه كان يكون فيها.

وروى أبو نُعيم أيضاً[2] عن حفصِ بن عمرَ الجُعْفيِّ قال: ورث داودُ عن أمِّه أربعَ مئةِ درهم، فمكث يتقوَّت منها ثلاثين عاماً، فلمَّا نفدت جعل ينقض سقوفَ الدُّويرة فيبيع الخشبَ والبواريَ واللَّبِن، حتى بقي نصفُ سقف. قال: وجاءه صديقٌ فقال: لو أعطيتَني هذه فأبضعتُها لك لعلك أن تستفضلَ منها شيئاً تنتفع به. فما زال حتى دفعها إليه، ثم فكَّر فيها، فلقيه بعد العشاءِ الآخرة، قال: اردُدْها عليّ، قال: ولِم؟ قال: أخاف أن يدخلَ فيها شيءٌ غير طيِّب. فأخذها منه.

وقال إسحاقُ بن منصور: دخلتُ أنا وصاحبٌ لي على داودَ الطائيِّ وهو قاعدٌ على التراب، فقلت لصاحبي: هذا رجلٌ زاهد، فقال داود: إنَّما الزاهد مَن قَدَرَ فترك.

وقال ابنُ أبي الدنيا: حدَّثني أحمدُ بن عمران: حدَّثني الوليدُ بن عُقبة قال: كان يُخبز لداودَ الطائيِّ ستُّون رغيفاً يعلِّقها بشريطٍ يُفطر في كلِّ ليلةٍ على رغيفَين بملحٍ وماء، فأخذ ليلةً فطرَه فجعل ينظر إليه. قال: ومولاةٌ له سوداءُ تنظر إليه، فقامت فجاءته بشيءٍ من تمر، فأفطر ثم أحيا ليلَه إلى الصباح، ثم أصبح صائماً، فلما جاء وقتُ إفطارِه أخذ رغيفاً ومِلحاً وماء، فجعل يعاتب نفسَه ويقول: اشتهيتِ البارحةَ تمراً فأطعمتكِ إياه، واشتهيتِ الليلةَ تمراً! لا ذاق داودُ تمراً ما دام في الدنيا.

وروى أبو نُعيم[3] عن حمَّادِ بن أبي حنيفةَ قال: قالت مولاةٌ لداودَ الطائي: يا داود،

(١) في حلية الأولياء ٧/ ٣٤٧.

(٢) في الحلية ٧/ ٣٤٦.

(٣) في الحلية ٧/ ٣٥١.

لو طبختُ لك دسماً، قال: فافعلي، قال: فطبختْ له شحماً، ثم جاءته به، فقال لها: ما فعل أيتامُ بني فلان؟ قالت: على حالهم، قال: اِذهبي به إليهم، فقالت: طبختُه لك وأنت إنَّما تأكل الخبزَ بالماء! فقال: إنِّي إذا أكلته كان في الحُشّ، وإذا أكله الأيتامُ كان عند اللهِ مذخوراً.

وروى أبو نُعيم عن محمد بن بِشْر[١] العَبدي قال: قال داودُ يوماً لمولاةٍ له: أَشتهي لبناً، فخذي رغيفاً وائتي البقَّالَ فاشتري به لبناً، ولا تُعلمي البقالَ لمن هو. فذهبتْ فجاءته به، فأكل. وفطن البقالُ أنها تريد اللبنَ لداود، فطيّبه له، فقال لها داود: علم البقالُ لمن تشترين اللبن؟ قالت: نعم، قال: اِرفعيه. فما عاد إليه.

قال[٢]: وجاءه فُضيلٌ يوماً، فلم يفتحْ له، فجلس فضيلٌ خارجَ الباب يبكي، وداودُ يبكي من داخل. قيل لمحمد[٣]: كيف لم يفتحْ لهم الباب؟! فقال: كثَّروا عليه فغمُّوه فحجبهم، فمَن جاء منهم كلَّمه من وراءِ الباب.

قال[٤]: وقالت له أمُّه: يا بني، لو اشتهيتَ شيئاً اتخذتُه لك، فقال: يا أُمَّاه، أَجيدي؛ فإني أريد أن أدعوَ إخواني. قال: فاتخذتْ وأَجادت، فقعد على الباب لا يمرُّ به سائلٌ إلا أَدخله وأطعمه، فقالت له أمُّه: لو أكلتَ منه، قال: فمَن أكله غيري؟ فماتت أمُّه، وكانت موسِرة، فأَخرج جميعَ ما تركتْ حتى لصق بالأرض.

وروى أبو نُعيم عن إسماعيلَ بن زبَّان قال: حجم داودَ حجَّامٌ، فأعطاه ديناراً لم يملك غيرَه، فقيل له: هذا إسراف! فقال: لا عبادةَ لمن لا مروءةَ له[٥].

وروى عبدُ الله بن أحمدَ بنِ حنبلٍ قال: قال رجلٌ لداود: لو نحَّيتَ العنكبوتَ عن السَّقف، فقال: أَمَا علمتم أنهم كانوا يكرهون فضولَ النَّظر!

---

(١) في (خ): بشران. والمثبت من الحلية ٧/ ٣٥٣.

(٢) في الحلية ٧/ ٣٥٣.

(٣) أي: ابن بشر العبدي.

(٤) في الحلية ٧/ ٣٥٣.

(٥) قوله: فقيل له: هذا إسراف...، ليس من رواية إسماعيل بن زبان، بل هو من رواية أبي سعيد السكري، وكلاهما في الحلية ٧/ ٣٥٤.

وروى عبدُ الله بنُ أحمدَ بن حنبلٍ عن ابن المباركِ أنَّه كان يقول: وهل الأمرُ إلَّا ما كان عليه داودُ الطائي.

وحكى أبو نُعيم[١] أنَّ امرأةً من أهل داودَ صنعت ثريدةً بسمن، ثم بعثت بها إليه عند إفطاره مع جاريةٍ لها، قالت الجارية: فوضعتُ القصعةَ بين يديه، فشرع يأكل، وإذا بسائلٍ على الباب، فقام فدفعها إليه وجلس معه على الباب حتى أكلها، ثم دخل فغسل القَصعة، ثم عمد إلى تمرٍ كان بين يديه قد أعدَّه لإفطاره، فوضعه في القصعة ودفعه إليها وقال: أَقرئيها السَّلام. قالت الجارية: فدفع إلى السائل ما جئناه به، ودفع إلينا ما أَعدَّه لإفطاره، وبات طاوياً.

وروى الخطيبُ[٢] عن إسماعيلَ بن زَبَّانَ قال: قالت دايةُ داود: يا أبا سليمان، أَما تشتهي الخبز؟ فقال: يا داية، بين مَضغ الخبزِ وشُربِ الفَتيت قراءةُ خمسين آية.

وروى أبو نُعيم[٣] عن عبد اللهِ بن صالحٍ العِجليِّ قال: دخلتُ على داودَ في مرضه الذي مات فيه، وليس في بيته إلَّا دَنٌّ مقيَّر يكون فيه خبزٌ يابس ومِطهَرة، ولَبِنة على التُّراب يجعلها تحت وِسادة، فهي مِخدَّته، وليس في بيته لا قليلٌ ولا كثير.

وقال قَبِيصة: كان يشرب الماءَ السُّخْن، فيقال له: أما نبرِّد لك الماء؟ فيقول: الذي يُبرِّد له الماءُ في الصيف ويسخِّن له الماءُ في الشتاء لا يحبُّ لقاءَ اللهِ تعالى.

وقال محمدُ بن حسَّان: قدم محمدُ بن قَحطبةَ الطائيُّ الكوفةَ وكان ابنَ عمِّ داود، فأرسل إلى داودَ ببَدْرة[٤]، فردَّها، فأرسل إليه ببَدرتَين مع مملوكين وقال لهما: إنْ قبلهما فأنتما حُرَّان، فأَتيا إليه، فردَّهما، فقالا: إنَّ في قَبولهما عِتقَنا، فقال: إنْ كان في قبولهما عتقُكما من الرِّقّ، ففيه عِتقُ رقبتي من النار. ولم يقبلْهما، وقال: قولا له يردُّهما على مَن أخذهما منه، فهو أَولى.

---

(١) في الحلية ٧/ ٣٤٨.

(٢) في تاريخه ٩/ ٣١٨. وهو في الحلية ٧/ ٣٥٠.

(٣) في الحلية ٧/ ٣٤٨.

(٤) البدرة: كيس فيه ألف درهم، أو عشرة آلاف درهم، أو سبعة آلاف دينار. القاموس المحيط (بدر).

وقال طلحةُ القَنَّاد[١] : ورث داودُ من ابن عمٍّ له مئةَ ألفِ درهمٍ لم يكن له وارثٌ غيره، فلم يأخذْ منها درهماً وتصدَّق بالجميع.

ذِكر نُبذةٍ من كلامه:

ذَكَرَ ذلك ابنُ أبي الدنيا وأبو نُعيم والخطيبُ وصاحبُ «مناقب الأَبرار» وغيرُهم.

فمن ذلك ما رواه أحمدُ بن أبي الحَوَاري عنه أنَّه قال: ما أَخرج اللهُ عبداً من ذُلِّ المعصية إلى عزِّ الطاعةِ إلا أَغناه بلا مال، وأعزَّه بلا جاهٍ وبغير عشيرة، وآنسه من غير جماعة.

وقال بكرُ بن محمد: قال لي داود: فرَّ من الناس فرارَك من الأسد.

وروى الخطيبُ عن أبي الرَّبيع الأعرجِ أنَّه جاء إلى داودَ من واسط ليسمعَ منه شيئاً ويراه، فأقام على بابه ثلاثةَ أيامٍ لا يصل إليه، قال: كان إذا سمع الإقامةَ خرج، فإذا سلَّم وثب فدخل منزلَه. قال: فجاء فسلَّم يوماً وقد سبقتُه إلى بابه، فلما جاء ليدخلَ قلت: ضيفٌ رحمك اللهُ أتيتك من واسط، وأحبُّ أن تزوِّدَني شيئاً[٢] ، فقال: صُم الدنيا واجعلْ فِطرَك الموت، قلت: زدني، قال: فِرَّ من الناس كفرارك من الأسد، غيرَ طاعنٍ عليهم[٣] ولا تاركٍ لجماعتهم. قال: فذهبتُ أَستزيده، فوثب إلى المحراب وقال: اللهُ أكبر. وفي رواية: فقلت له: أَوصني، فقال: إن كان لك والدان فبِرَّهما.

وروى أبو نُعيم[٤] عن عبد اللهِ بن إدريسَ قال: قلتُ لداود: أَوصني، فقال: أَقلِل من معرفة الناس، قلت: زدني، قال: ارضَ باليسير من الدنيا مع سلامة الدِّين كما رضي أهلُ الدنيا بالدنيا مع فساد الدِّين، قال: فقلت: زدني، فقال: اجعل الدنيا كيومٍ صمتَه ثم أَفطِر على الموت.

---

(١) في تاريخ بغداد ٩/ ٣١٦ : عمرو بن طلحة القناد.

(٢) اختصر المؤلف هنا القصة، ففي تاريخ بغداد ٩/ ٣١٥ : قلت: ضيف رحمك الله، قال: إن كنت ضيفاً فادخل، قال: فدخلت فأقمت عنده ثلاثة أيام لا يكلمني، فلما كان بعد ثلاث قلت: رحمك الله أتيتك من واسط وإني أحببت أن تزودني شيئاً....

(٣) في (خ): عنهم.

(٤) في الحلية ٧/ ٣٤٣.

وروى أبو نُعيم[١] عن صَدَقةَ الزاهدِ قال: خرجنا مع داودَ الطائيِّ في جنازةٍ بالكوفة، فقعد داودُ ناحيةً وهي تُدفن، فجاء الناسُ فقعدوا قريباً منه، فقال: مَن خاف الوعيدَ قَصُرَ عليه البعيد، ومَن طال أملُه ضعف عملُه، وكلُّ ما هو آتٍ قريب، وكلُّ ما يشغلك عن الله من مالٍ وولد فهو عليك مشؤوم، وإنَّ أهلَ القبور إنَّما يفرحون بما يقدِّمون، ويندمون على ما يخلِّفون.

وروى أبو نُعيم عنه أنَّه كان يقول: سبقني العابدون وبقيتُ[٢] وقُطع بي، والهفاه.

وروى ابنُ أبي الدنيا عنه أنَّ رجلاً قال له: أَوصني، فقال: إنما الليلُ والنهارُ مراحل، ينزلهما الناسُ مرحلةً بعد مرحلةٍ حتى ينتهيَ بهم ذلك إلى آخر سفرِهم، فإن استطعتَ أن تقدِّمَ في كلِّ مرحلةٍ زاداً لما بين يديها فافعل، فإنَّ انقطاعَ السفر عن قريب، والأمرُ أَعجل من ذلك، فتزوَّدْ لسفرك، واقضِ ما أنت قاضٍ من أمرك، فكأنَّك بالأمر قد بغتك، إنِّي لَأقول لك هذا وما أَعلمُ أحداً أشدَّ تضييعاً مني لذلك.

وقال أبو نُعيم[٣]: قال رجلٌ لداود: أَوصني، فقال: عسكرُ الموتى ينتظرونك. وقال له رجل: أَوصِني، فقال: لا يراك اللهُ حيث نهاك، ولا يفقِدُك حيث أمرك، فاستحيِ من قربه منك وقدرتِه عليك.

وقال أبو نُعيم[٤]: قال رجلٌ لداود: أرأيتَ لو أنَّ رجلاً دخل على هؤلاء الأمراءِ فأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر؟ قال: أخاف عليه السَّوط، قال: إنَّه يقوَى عليه، قال: أَخاف عليه السَّيف، قال: إنَّه يقوى عليه، قال: أَخاف عليه الداءَ الدَّفين، قال: ما هو؟ قال: العُجْب.

وقال سهلُ بن بكَّار: كان داودُ يقول: يا سوادَ ليلةٍ لا تُضيء، ويا بُعدَ سفرٍ لا ينقضي.

قال: وجلس إليه عُقبةُ بن موسى، فقال له: يا عقبة، كيف يتسلَّى عن الحزن مَن

(١) في الحلية ٧/ ٣٥٧، وانظر مناقب الأبرار ١/ ١٧٧.

(٢) في (خ): أو وقطع. والمثبت من الحلية ٧/ ٣٣٦.

(٣) في الحلية ٧/ ٣٥٦، ٣٥٨.

(٤) في الحلية ٧/ ٣٥٨.

تتجدَّد عليه المصائبُ كلَّ يوم! فخرَّ عقبةُ مغشيًّا عليه. قال: وقيل له: دلَّنا على رجلٍ نجلس إليه، فقال: تلك ضالَّة لا توجَد.

ذِكْر وفاتِه وما يتعلَّق بها:

روى أبو نُعيم[١] عن حفص بنِ عمرَ الجُعْفي قال: اشتكى داودُ أياماً، وكان سبب علَّته أنه مرَّ بآية فيها ذِكرُ النار، فكرَّرها مراراً في الليلة فأَصبح مريضاً، فوجدوه قد مات ورأسُه على لَبِنة. وفي روايةٍ[٢] أنَّه نزع نزعاً شديداً.

وقال حمَّاد بنُ أبي حنيفة: رأى رجلٌ في منامه في الليلة التي مات فيها داودُ أن داودَ يعدو وهو مكشوفُ الرأس، فقال له: إلى أين؟ فقال: الآن تخلَّصتُ من السجن. فانتبه الرجلُ وقد ارتفع الصُّراخ بموت داود.

وقد ذكرنا أنَّ ابنَ سعدٍ قال: مات سنةَ خمسٍ وستِّين. وقال الهيثم: سنةَ ستٍّ وستِّين ومئة. وقيل: سنةَ ستِّين ومئة.

ذِكرُ ثناءِ العلماءِ عليه:

قد ذكرنا أن سفيانَ الثوريَّ كان إذا ذُكر عنده داودُ يقول: أَبصر الطائيُّ أمرَه. وقال ابنُ المبارك: وهل الأمرُ إلَّا ما كان عليه داود. وحكى الخطيبُ[٣] عن محارِب بن دِثارٍ أنَّه كان يقول: لو كان في الأُمم الماضيةِ مثلُ داود، لقَصَّ اللهُ علينا خبرَه.

وقال عبدُ العزيزِ بن محمد: رأيتُ داودَ الطائيَّ في المنام على المنبر والناسُ حوله. وفي رواية: رأيتُ في المنام قائلاً يقول: مَن يحضر؟ فقلت: أنا، فقال: اسمع كلامَ ذاك العالمِ الذي يخطب ويُخبر عن أعلى المراتبِ ومنازلِ الأولياء. قال: فنظرتُ فإذا داودُ الطائي، ففهمت كلامَه: [من البسيط]

ما نال عبدٌ من الرحمن منزلةً أعلى من الشَّوق إنَّ الشَّوقَ محمودُ[٤]

وروى الخطيبُ عن إسحاقَ بن منصورٍ قال: لَمَّا مات داودُ الطائي شيَّع الناسُ

---

(١) في الحلية ٧/ ٣٤٠.

(٢) هي في الحلية ٧/ ٣٤١.

(٣) في تاريخه ٩/ ٣١٨.

(٤) حلية الأولياء ٧/ ٣٦٠.

جنازته، فلما دُفن قام ابن السَّماك على قبره فقال: يا داود، كنت تُسهر نومَك إذا الناسُ [ينامون، فقال القومُ جميعاً: صدقت. وكنت تربح إذا الناسُ][1] يَخسرون، فقال الناسُ جميعاً: صدقت، حتى عدَّد فضائلَه كلَّها. فلمَّا فرغ قام أبو بكرٍ النَّهْشلي، فحمد الله، ثم قال: يا ربّ، إن الناسَ قالوا ما عندهم ومبلغَ ما علموا، اللهمَّ فاغفرْ لداودَ ولا تَكِلْه إلى عمله. فكان[2] قولُ النهشليِّ أعجبَ إلى الناس من قول ابنِ السمَّاك.

أسند داودُ عن جماعةٍ من التابعين، منهم: أبو حنيفة، والأَعمش، وعبدُ الملك بن عُمَير، وحبيبُ بن أبي عَمرة، وحُميدٌ الطويل، وغيرُهم، ومات بالكوفة. انتهت ترجمتُه.

عبدُ الرحمن بنُ ثابتِ بن ثَوبان

أبو عبدِ الله العَنْسيُّ الدمشقي. ذكره ابنُ سعدٍ في الطبقة الخامسةِ من أهل الشام[3]. وكان من الأَبدال، مجابَ الدَّعوة، إذا رأته السِّباعُ خضعت بين يديه.

وقد حكى الحافظُ ابن عساكرٍ عنه حكايةً عجيبة رواها عن محمدِ بن حسَّان الجبلي، قال: كان ابنُ ثوبانَ يسكن صَيدا بساحل دمشق، حمل يوماً غِرارةَ قمحٍ على حمارةٍ له، وخرج من صيدا فأَلقاها في الطاحون، وترك الحمارةَ ترعى في المَرْج، فجاء السَّبُعُ فافترس الحمارة، فرأى السبعَ قد افترسها، فصاح به: يا كلب، أَكلتَ حمارتي! تعالَ فاحمل دقيقَنا، فجاء السَّبعُ فأَلقى على ظهره الغِرارةَ وحملها إلى صيدا، فلمَّا وصل إلى بابها صاح به: قِفْ، فوقف، فأَلقى الغِرارةَ عن ظهره وقال: اذهب يا كلبُ لئلَّا يفزعَ الصبيانُ منك، فذهب.

وحكى أيضاً[4] عن ابن ثوبانَ أنه دخل على المهديِّ فأَغلظ له في الكلام، فغضب المهديُّ وقال له: يا ابنَ ثَوبان، واللهِ لو كان المنصورُ حيًّا لما أَقالكَها، فقال له: لا تقلْ هذا، فواللهِ لو كُشف لك عنه حتى يُخبرَك بما عاينَ وما لقي لَما جلستَ مجلسَك

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٩/ ٣٢٠.

(٢) قوله: فكان قول...، ليس في تاريخ بغداد.

(٣) لم نجده في طبقاته.

(٤) في تاريخه ٩/ ٨٩٣ ـ ٨٩٤ (مخطوط). والخبر الأول لم نجده.

هذا. فبكى المهديّ.

قال[١]: ودعاه أخٌ له فقال: تعشَّ عندي اللَّيلة، فما زال ينتظره حتى طلع الفجر، فلقيه فقال: ما الذي أَبطأَ بك عني؟ فقال: كنتُ في الوِتر، فعرضتْ لي روضةٌ خضراء، فما زلت أَنظر فيها حتى أصبحت.

وكانت وفاةُ ابنِ ثوبانَ في هذه السَّنة، وقد بلغ تسعين سنة، ومولدُه سنةَ خمسٍ وسبعين.

أَسند عن أبيه وعطاءِ بن أبي رباحٍ وأبي الزِّناد وهشامِ بن عروةَ وغيرِهم.

وقال الخطيب: قدم بغدادَ وحدَّث بها[٢]. وكان أحمدُ بن حنبلٍ يُثني عليه ويقول: كان أعبدَ أهلِ الشام. ورُوي عنه أنَّه كان صالحاً عابداً سليمَ الصدر. وقال أبو داود[٣]: كان فيه سلامةُ صدر، ولَّاه المهديُّ على المظالم ببغداد.

ورَّاد العِجليُّ الكوفي

من الطبقة السادسةِ من أهل الكوفة، كان من الخائفين البكَّائين.

وروى ابنُ أبي الدنيا عن حفص بنِ غياثٍ قال: كنَّا عند عمرَ بن ذَرٍّ ذاتَ يومٍ وهو يتكلَّم، فذكر رواجفَ القيامةِ وزلازلَها، فوثب رجلٌ من بني عِجلٍ يقال له: ورَّاد، فجعل يبكي ويصرخ ويضطرب، فحُمل إلى منزله من بين القوم صريعاً، فقال عمرُ بن ذَرّ: يا ليت شِعري ما الذي قصَّر بنا وكَلَمَ قلبَ ورَّادٍ حتى أبكاه الله! واللهِ إنْ هذا إلَّا من صفاء قلبِه وتراكُم الذنوبِ على قلوبنا. وكان ورَّادٌ يدخل المسجدَ مقنَّعَ الرأس، فيعتزل ناحية، فلا يزال يصلِّي ويبكي ويدعو ما شاءَ الله. فكان هذا دأبَه، وكان قد عاهد اللهَ ألَّا يضحكَ حتى ينظرَ إليه، وكان يصوم الدهرَ ويُفطر على قُرصَين من شعيرٍ ويقوم الليل، فإذا كان في السَّحَر جلس فدعا، وكان من دعائه: إلهي، عبدُك يحبُّ الاتصالَ بطاعتك، فأَعِنه عليها يا إلهي بتوفيقك أيها المنَّان، مولاي، عبدك يحبُّ اجتنابَ

(١) في تاريخه ٩/ ٨٩٣.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٤٨٧.

(٣) في (خ): ابن داود. والمثبت من المصادر.

سَخَطك، فأَعِنه على ذلك بتوفيقك، مولاي، عبدُك عظيمُ الرجاءِ لخيرك، فلا تقطعْ رجاءه يومَ يفرح الصابرون[١]. فلا يزال على هذا حتى يُصبح، فلمَّا مات وحُمل إلى قبره، إذا اللحدُ مفروش بالرَّيحان، فأخذ بعضُ الذين نزلوا القبرَ منه شيئاً، فمكث عنده سبعين يوماً طريًّا لا يتغيَّر، والناسُ يأتون إليه فيشاهدونه بُكرةً وعشيًّا، فخاف الأميرُ أن يفتتنَ الناس، فأَرسل فأخذه، ففقده الأميرُ من منزله فلا يُدرَى أين ذهب.

يزيدُ بن منصورِ بن عبد الله الحِمْيَري

خالُ المهدي. ولَّاه المنصورُ البصرةَ واليمن والولاياتِ العظيمة، وكذا المهديّ، وكان شجاعاً حازماً جَوَاداً، محترماً في بني العبَّاس. وقد ذكرنا أنه حجَّ بالناس في سنة تسعٍ وخمسين ومئة، وسنةِ ستِّين مع المهدي[٢]، وكانت وفاتُه بالبصرة في هذه السَّنة بالاتفاق، والله أعلم.

(١) في المنتظم ٨/ ٢٨٠، وصفة الصفوة ٣/ ١٦٢ : الفائزون.

(٢) لم يحج سنة ستين مع المهدي، بل استخلفه مع ابنه الهادي على بغداد. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٣٢ ـ ١٣٣، والمنتظم ٨/ ٢٣٨، والكامل ٦/ ٤٨.